

الوعي الرشيد

وآثره في مواجهة التحديات



مجمع درر تريب
من خُطب ومُحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

أَهْمِيَّةُ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

فَإِنَّ صِحَّةَ الْفَهْمِ وَسَلَامَةَ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ هُمَا أَجَلُ نِعَمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.
وَصِحَّةُ الْفَهْمِ وَسَلَامَةُ الْقَصْدِ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ؛ عَلَيْهِمَا يَقُومُ، وَعَلَيْهِمَا يَرْتَكِزُ.

وَبِصِحَّةِ الْفَهْمِ يُنَجِّي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَبْدَ مِنْ سَبِيلِ الضَّالِّينَ، وَأَمَّا بِسَلَامَةِ الْقَصْدِ فَيُنَجِّيهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ سَبِيلِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.

وَبِصِحَّةِ الْفَهْمِ وَسَلَامَةِ الْقَصْدِ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ وَهَدَاهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَسْأَلَهُ بِأَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَيْهِ كَمَا أَنْعَمَ عَلَى الَّذِينَ هَدَاهُمْ إِلَيْهِ، نَطْلُبُ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ- ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

صِحَّةُ الْفَهْمِ وَسَلَامَةُ الْقَصْدِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا عَلَى عَبْدِهِ بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ؛ إِذْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ لَهُ، وَثَبَّتَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ.

وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ، وَمِنَّةٌ وَنُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَبِهَا تَفَاوَتَتْ سُبُلُ الْعُلَمَاءِ وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ؛ فَعَدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ.

وَنُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ، وَهِيَ مِنْهُ مَمْنُونَةٌ وَنِعْمَةٌ مُنْعَمٌ بِهَا عَلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ وَأَنْ يُنْعِمَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ دُنْيَا وَآخِرَةً.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ عُمَرَ الْفَارُوقَ رضي الله عنه كَانَ يُقَرِّبُهُ وَيُدْخِلُهُ مَجْلِسَهُ الْخَاصَّ - مَجْلِسَ مَشُورَتِهِ مَعَ الْأَشْيَاحِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَدْرٍ -، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: هَذَا مِثْلُ أَبْنَائِنَا! فَكَيْفَ يَدْخُلُ مَعَنَا، وَيَجْلِسُ فِي مِثْلِ مَجْلِسِنَا؟!»

وَعَلِمَ ذَلِكَ عُمَرُ رضي الله عنه، قَالَ: فَقَالَ لِي يَوْمًا: احْضُرْ مَجْلِسِنَا.

قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُرِيَهُمْ.

فَلَمَّا اسْتَتَمَ الْمَجْلِسُ وَفِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه؛ أَقْبَلَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَشْيَاحِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟

فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَمَرَ نَبِيَّهُ صلوات الله عليه إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، وَمِنْ سَاكِتٍ لَا يَنْسُ بِنْتِ شَفَةِ.

(١) «صحيح البخاري»: (٨/١٩، رقم ٤٢٩٤).

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلِيَّ عُمَرُ فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟

قَالَ: قُلْتُ: هُوَ نَعْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ إِعْلَامٌ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، أَخْبَرَهُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- إِذَا فَتَحَ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ وَأَعَزَّهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى دُنُوِّ أَجَلِهِ وَاقْتِرَابِ نَهَايَةِ عُمُرِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَعْلَمُ مِنْهَا غَيْرَ مَا عَلِمْتَ.

لَا أَعْلَمُ مِنْهَا سِوَى مَا عَلِمْتَ.. لَا عِلْمَ لِي بِشَيْءٍ فَوْقَ الَّذِي قُلْتَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَمِنْ أَيْنَ أَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهَذَا الْفَهْمِ الْخَاصِّ وَلَيْسَ هُنَالِكَ مِنْ دَلَالَةِ ظَاهِرَةٍ وَلَا بَاطِنَةٍ عَلَى الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْفَهْمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١﴾ [النصر: ١-٣].

لَيْسَ فِي الْآيَاتِ فِي ظَاهِرِهَا مَا يَدُلُّ دَلَالَةً خَاصَّةً عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ فَهْمِهِ بِالنُّورِ الَّذِي قَدَفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَلْبِهِ مِنْ صِحَّةِ الْفَهْمِ وَجَوْدَتِهِ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ الْمَمْنُونَةِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ.

وَصَدَّقَ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِيَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ.. مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، بَلْ إِنَّهُ أَفْرَبَانَهُ لَا يَعْلَمُ فِي الْآيَاتِ فَوْقَ الَّذِي ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ شَيْئًا.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ الْآخَرُونَ -وَهُمْ أَطْوَلُ مُلَازِمَةِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ- فَلَمْ يَقْدِفْ رَبَّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي قُلُوبِهِمْ وَلَا فِي قَلْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا قَدَفَ فِي

قَلْبِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا - تَجَاهَ مَا سَأَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ
لِهَذِهِ الْآيَاتِ الْمُشْرَفَاتِ فِي سُورَةِ النَّصْرِ.

صِحَّةُ الْفَهْمِ.. وَهَذَا الْفَهْمُ لَهُ أَدْوَاتٌ بَيْنَهَا لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي كِتَابِهِ
الْعَظِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

فَذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْفُؤَادَ، وَالْقُرْآنَ
جَارٍ عَلَى ذِكْرِ الْفُؤَادِ وَالْقَلْبِ عَلَى أَنَّهُ مَجْمَعُ الْإِدْرَاكِ، وَعَلَى أَنَّهُ مَنَاطُ الْفَهْمِ
وَالْمَعْرِفَةِ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا يَسْتَوُونَ؛ عَالِمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ،
وَكَاتِبُهُمْ وَقَارِئُهُمْ، وَأُمِّيَّهُمْ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْغَا الْمُبَالِغِ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالسَّبْتِ
وَالتَّحْقِيقِ، وَمَنْ كَانَ بِالْغَا الْمَدَارِكِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ وَضِدِّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ
مَخْرَجًا وَاحِدًا: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ جَمِيعًا.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - مِنْتَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَمَا مَيَّزَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ
مِنْ أَدْوَاتِ الْفَهْمِ وَوَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ وَطَرَائِقِ الْمَعْرِفَةِ؛ فَقَالَ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -:
﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ﴾؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُكَلِّفَكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
وَأَنْ يَأْمُرَكُمْ وَيَنْهَأَكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشُّكْرَ يَرْتَكِزُ عَلَى أُمُورٍ بَارِكَانَ إِذَا مَا أَتَى بِهَا الْمَرْءُ عُدَّ شَاكِرًا،
وَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا جَمِيعَهَا عُدَّ جَا حِدًا، وَإِلَّا فَتَقْصُ بِحَسَبِ مَا نَقَصَ.

فَأَمَّا مَدَارُ أَرْكَانِ الشُّكْرِ فَهِيَ تَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ:

أَنْ يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِالنِّعْمَةِ بَاطِنًا.

وَأَنْ يُقِرَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا - يَعْنِي: بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ - بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا.

ثُمَّ الْأَمْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْحَيُودِ عَنْ شُكْرِ رَبِّنَا الْمَعْبُودِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ نِعَمٍ مُتَوَالِيَةٍ لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا عَدَّ، وَلَكِنْ لَا تُصَرَّفُ فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَّفَ فِيهِ؛ فَلَا يَصِيرُ الشُّكْرُ - حِينَئِذٍ - إِلَّا جُحُودًا وَنُكْرَانًا وَاتِّهَامًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ظَاهِرًا وَحَالًا بِأَنَّهُ مَا أَنْعَمَ عَلَى الْعَبْدِ بِشَيْءٍ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَانَ.

لَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ الْمَرْءُ بِالنِّعْمَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُعْتَرِفًا بِهَا بَاطِنًا، وَأَنْ يُلْهَجَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا - يَعْنِي: بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ - بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا، وَأَنْ يُصَرِّفَهَا فِي مَرْضَاةِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ وَأَسَدَاهَا إِلَيْهِ.

فَإِذَا اعْتَرَفَ الْمَرْءُ بِالنِّعْمَةِ بَاطِنًا، وَلَهَجَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - بِهَا بِالنُّطْقِ ظَاهِرًا، وَلَمْ يُصَرِّفِ النِّعْمَةَ فِي شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهَا فِيهِ فَهُوَ جَا حِدٌ نَاكِرٌ غَيْرٌ شَاكِرٍ.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وَأَنْتُمْ لَمْ تَشْكُرُوا إِلَّا مَنْ اعْتَرَفْتُمْ بِوُجُودِهِ بَدَاءً، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ عَلَيْكُمْ ثَانِيًا، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ لَهُ بِاللُّهُوبِيَّةِ لَكُمْ

بِتَصْرِيْفِ عِبَادَتِكُمْ لَهُ وَقَصْرِهَا عَلَيْهِ ثَالِثًا، ثُمَّ إِنَّهُ -حَيْثُ نِدَّ- يَكُونُ مُسْتَحْوِذًا لَجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِهَا.

وَإِذَنْ؛ فَهَذَا تَوْحِيدٌ خَالِصٌ يَجْعَلُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْفَذَّةِ الْمُمَرَّدَةِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وَشَكَرَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى (السَّمْعِ) بِأَنْ يَعْتَرِفَ الْمَرْءُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِهَذِهِ النُّعْمَةِ بَاطِنًا، وَأَنْ يَلْهَجَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِهَا ظَاهِرًا بِالنُّطْقِ لِسَانًا، ثُمَّ أَنْ يُصَرِّفَهَا فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَّفَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ قَانُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي شَرَعِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ (الْبَصَرُ وَالْفَوَاضِلُ). (*)

إِنَّ الْوَعْيَ بِالْمَخَاطِرِ يَخْتِاجُ إِلَى إِعْمَالِ الْعَقْلِ الَّذِي كَرَّمَ اللهُ ﷻ بِهِ الْإِنْسَانَ حَتَّى يُمَيِّزَ بَيْنَ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ الْآيَاتِ: انظُرُوا بِقُلُوبِكُمْ نَظَرَ اعْتِبَارٍ وَتَذَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ: مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ؛ فَإِذَا نَظَرْتُمْ هَذَا النَّظَرَ التَّدَبُّرِيَّ تَحَقَّقْتُمْ مِنْ صِدْقِ رَسُولِكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنْ رَبِّكُمْ. (*) (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «نِعْمَةُ الْفَهْمِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ | ٩-٩-٢٠٠٥م.
 (*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْفِرَاءَةُ وَالْتَعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [يونس: ١٠١].

لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِأَن يَسْمَعُوا سَمَاعًا وَاعِيًا وَاصِلًا إِلَىٰ مَدَارِكِهِمْ. (*)

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

[الأنعام: ٥٠].

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ يَسْتَوِي الْجَاهِلُ بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ؟! أَفَقَدْتُمْ مَا وَهَبْنَاكُمْ مِنْ عَقْلِ فَلَا تَتَفَكَّرُونَ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ؟! (* / ٢).

وَحَثَّ اللَّهُ عَلَى الْوَعْيِ وَالْإِذْرَاكِ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهِ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا

طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَبَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١-١٢].

وَمِنْ جُمْلَةٍ هُوَ لِأَيِّ -الَّذِينَ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ- قَوْمٌ نُوحٍ؛ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْيَمِّ حِينَ طَغَى الْمَاءُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ وَعَلَا عَلَىٰ مَوَاضِعِهَا الرَّفِيعَةَ.

وَأَمَّنَّ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ الْمَوْجُودِينَ بَعْدَهُمْ أَنْ حَمَلَهُمْ ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ -وَهِيَ السَّفِينَةُ- فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمُ الَّذِينَ نَجَّاهُمْ اللَّهُ.

فَاحْمَدُوا اللَّهَ، وَاشْكُرُوا الَّذِي نَجَّاكُمْ حِينَ أَهْلَكَ الطَّاغِينَ، وَاعْتَبِرُوا بِآيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أَي: الْجَارِيَةَ، وَالْمُرَادُ جِنْسُهَا، ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ تَذَكَّرْكُمْ أَوَّلَ سَفِينَةٍ صُنِعَتْ، وَمَا قِصَّتْهَا، وَكَيْفَ نَجَّى اللَّهُ عَلَيْهَا مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، وَكَيْفَ أَهْلَكَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ، فَإِنَّ جِنْسَ الشَّيْءِ مُذَكَّرٌ بِأَصْلِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنعام: ٣٦].

(* / ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنعام: ٥٠].

﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعَيْةٌ﴾؛ أَي: يَعْطَلُهَا أَوْلُو الْأَلْبَابِ، وَيَعْرِفُونَ الْمَقْصُودَ مِنْهَا وَوَجَهَ الْآيَةِ بِهَا، وَهَذَا بِخِلَافِ أَهْلِ الْأِعْرَاضِ وَالْغَفْلَةِ وَأَهْلِ الْبَلَادَةِ وَعَدَمِ الْفِطْنَةِ، فَإِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ انْتِفَاعٌ بِآيَاتِ اللَّهِ لِعَدَمِ وَعْيِهِمْ عَنِ اللَّهِ، وَلِعَدَمِ تَفَكُّرِهِمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ. (*)

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْفِقْهِ وَالْفَهْمِ، وَالْوَعْيِ وَالْإِدْرَاكِ، قَالَ ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاَهَا، وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَحَفِظَهَا وَوَعَاَهَا».. إِشَارَةٌ إِلَى الْحِفْظِ السَّلِيمِ وَالْفَهْمِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا».. إِشَارَةٌ إِلَى آدَاءِ الْكَلَامِ بِنَصِّهِ، «وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا».

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَا فِقْهَ لَهُ».. إِشَارَةٌ إِلَى صَاحِبِ الْفَهْمِ الضَّعِيفِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَاقَّةِ) -الْخَمِيسُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ/ ٢٨-١-٢٠١٠م.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ: (١/٨٥، رَقْمُ ٢٣١)، وَأَحْمَدُ: (٤/٨٠ و ٨٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ»: (٢/١٢٦-١٢٧) وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ لغيره الألباني في «صحيح الترمذي والترهيب»: (١/١٤٨-١٤٩، رَقْمُ ٩٢).

وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَرَبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».. إِشَارَةٌ إِلَى تَفَاوُتِ الْأَفْهَامِ، وَأَنَّ سَامِعَ الْخَبَرِ قَدْ يَسْتَنْبِطُ مِمَّا سَمِعَ مَا لَمْ يَسْتَنْبِطُهُ الرَّاوي الَّذِي نَقَلَ الْكَلَامَ.

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (*)

إِنَّ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ أَطْيَبِ الْخِصَالِ.
وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى فَضْلِهِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ:

مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمُنْفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ (٢): «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

هَذَا فِيهِ حَثٌّ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ بِإِجْمَالٍ.. الْفِقْهُ فِي الدِّينِ فِي لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْمَلُ الْفَهْمَ فِي الدِّينِ كُلِّهِ، لَا فِي الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يَشْمَلُ الْإِعْتِقَادَ، وَالْعِبَادَةَ، وَالْمُعَامَلَةَ، وَيَشْمَلُ الْأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِدِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٧ هـ | ٢٩-٤-٢٠١٦ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١/١٦٤، رَقْمُ ٧١)، وَمُسْلِمٌ: (٢/٧١٨-٧١٩، رَقْمُ ١٠٣٧)، مِنْ حَدِيثِ: مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ الْخَيْرَ كُلَّهُ عَلَى الْفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّتِهِ، وَعِظَمِ شَأْنِهِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»^(١). هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«إِذَا فَقَهُوا»: إِذَا صَارُوا فُقَهَاءً.

فَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ مَنْزِلَتُهُ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ، وَدَرَجَتُهُ فِي الثَّوَابِ كَبِيرَةٌ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَفَقَّهَ فِي أُمُورِ دِينِهِ، وَعَرَفَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ، إِذَا تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَعَرَفَ ذَلِكَ؛ عَبْدَ رَبِّهِ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَيُوفَّقُ لِلْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*)



(١) أخرجُه البخاري في «الصحیح»: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِّينَ﴾ [يوسف: ٧]، رقم (٣٣٨٣)، وفي مواضع، ومسلم في «الصحیح»: كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسُفَ الطَّيِّبِ، رقم (٢٣٧٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ...» الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ كِتَابِ الطَّهَّارَةِ مِنَ الْفِقْهِ الْمَيْسَرِ» (المُحَاصِرَةُ الْأُولَى) -

الإثنين ١٥ من جمادى الأولى ١٤٣٢هـ | ١٨-٤-٢٠١١م.

عَاقِبَةُ إِهْمَالِ أَدَوَاتِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ

فِي مُقَابِلِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ يَسْتَعِدُّ أَدَوَاتِ الْوَعْيِ وَالْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ؛ يُخْبِرُنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمَّنْ لَمْ يَسْتَعِدِّمْ أَدَوَاتِ الْفَهْمِ فِيمَا جَعَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهَا وَفِيمَا يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْدَمَ فِيهِ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَأَعْيُنٌ لَا تَرَى.. ﴿وَتَرَبَّهَتْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]،
فَفَارِقٌ بَيْنَ النَّظْرِ وَالْإِبْصَارِ.

أَمَّا النَّظْرُ فَمُطْلَقٌ يَسْتَوِي فِيهِ كُلُّ نَاطِرٍ مِّنْ شَاخِصٍ إِلَى شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ مُنْصَرِفًا عَنْهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُدْرِكٍ لِحَقِيقَتِهِ.

النَّظْرُ شَيْءٌ وَالْإِبْصَارُ شَيْءٌ آخَرُ بِنَصِّ الْآيَةِ الْمَكْرَمَةِ، ﴿وَتَرَبَّهَتْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ..﴾ شَاخِصِينَ بِأَبْصَارِهِمْ مُهْطِعِينَ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَرُونَ شَيْئًا، وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَمَّا ذَكَرَ أَدَوَاتِ الْفَهْمِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾،

سَمِعُ وَبَصَرُ وَفُؤَادٌ.. هَذِهِ أَدَوَاتُ الْفَهْمِ وَأَدَوَاتُ الْإِدْرَاكِ وَأَدَوَاتُ الْمَعْرِفَةِ
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

بَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَالَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يُصِرُّونَ
هَذِهِ النِّعَمَ فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَّفَ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾؛
أَيُّ: خَلَقْنَا وَأَنْشَأْنَا.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾؛ فَذَكَرَ الْمُكَلَّفِينَ مِنْ
خَلْقِهِ.. ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ كَلَّفَهُ وَقَبِلَ تَحْمُلَ الْأَمَانَةِ بِ(افْعَلْ وَلَا تَفْعَلْ)..
ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُكَلَّفِينَ مِمَّنْ آتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِدْرَاكَ وَالْفَهْمَ
وَالْمَعْرِفَةَ بِأَدَوَاتِهِ، ذَلِكَ الْإِدْرَاكُ وَتِلْكَ الْمَعْرِفَةُ مِنْ عَقْلِ يُدْرِكُ وَقَلْبٍ يَعِي، وَمِنْ
بَصَرٍ يُبْصِرُ لَا يَنْظُرُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ فَيُبْصِرُ، وَمِنْ أُذُنٍ تَسْمَعُ فَتَعِي، وَلَا تَسْمَعُ ثُمَّ لَا
تَعِي وَلَا تُدْرِكُ.

بَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ يُمَكِّنُ أَنْ تُجْعَلَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَلَا
يُعَدُّ الْمَرْءُ شَاكِرًا رَبَّهُ عَلَيْهَا.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾؛ فَبَيَّنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنسِ فِي النَّارِ.

يَقُولُ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾.. أَنْشَأْنَا وَخَلَقْنَا وَكَوَّنَا
لِجَهَنَّمَ ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾.

هَلْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّارِ بَدَأَ مِنْ غَيْرِ مَا إِعْطَاءِ إِدْرَاكِ بَفْهَمٍ وَوَعْيٍ
وَاخْتِيَارٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْتَارُوا بَعْدَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَطَرِيقَ

الْهُدَى وَطَرِيقَ الضَّلَالِ، وَطَرِيقَ الْهَدَايَةِ وَطَرِيقَ الْعَوَايَةِ؛ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ لَعُدَّ ظَلَمًا - وَحَاشَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَدْوَاتِ الْأِدْرَاكِ وَوَسَائِلَ الْفَهْمِ لَا يَسْتَخْدِمُونَهَا فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَخْدِمُوهَا فِيهِ، وَحِينَئِذٍ يَسْتَوْجِبُونَ دُخُولَ النَّارِ، فَكَتَبَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِلْمُ عِنْدَهُ صِفَةٌ أَنْكِشَافٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

فَهَذَا الْغُلَامُ غُلَامُ الْخَضِرِ وَغُلَامُ مُوسَى الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي «الصَّحِيحِ»^(١)؛ إِذْ قَلَعَ رَأْسَهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ صَنِيعِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ الْغُلَامَ كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

هُوَ مَا زَالَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ بَعْدُ، ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا مَا كَبُرَ.. وَإِذَا مَا وَصَلَ إِلَى الْحُلْمِ.. وَإِذَا مَا شَبَّ فَاسْتَوَى عَلَى سَاقِيهِ سَيَكُونُ ضَالًّا يُرْهَقُ أَبُوَيْهِ عُدْوَانًا وَكُفْرَانًا وَإِثْمًا وَظُلْمًا، فَأَرَادَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُبْدِلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ إِيمَانًا وَأَقْرَبَ إِلَيْهِمَا بِالْإِيمَانِ رَحِمًا وَقُرْبَةً وَقُرْبًا، فَأَرَادَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِهَذَا الْغُلَامِ أَلَّا تَسْتَمِرَّ بِهِ حَيَاةً، فَأَمَرَ الْخَضِرَ بِأَنْ يَقْلَعَ رَأْسَهُ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولَ ﷺ.

(١) «صحيح البخاري»: (٨ / ٤١١ - ٤١٢، رقم ٤٧٢٦)، من حديث: ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

هَذَا عِلْمٌ مَا لَمْ يَكُنْ؛ لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَحْدُثْ فِي وَاقِعِ النَّاسِ وَفِي دُنْيَا اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَوْ وَقَعَ لَكَانَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

فَيَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾؛ قُلُوبٌ نَابِضَةٌ مِّنْ تِلْكَ الْقِطْعِ الصَّنُوبِرِيَّةِ اللَّحْمِيَّةِ تَدُقُّ بَيْنَ الْأَصْلَاعِ مَا تَدُقُّ مُنْذُ الْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ إِلَى حِينِ السُّكُوتِ بِهَمُودِ الْوَفَاةِ، ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ تَرَابًا، وَفِي هَذِهِ الرَّحَلَةِ الْمُتَطَاوَلَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَجَاوَزَتْ قَرْنًا مِّنَ الزَّمَانِ لَا تَحِدُ هَذَا الْقَلْبَ النَّابِضَ الْحَيَّ الْمُتَحَرِّكَ يَذْكُرُ شَيْئًا وَلَا يَعِي أَمْرًا، وَلَا يُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُتَفَكِّرًا.

﴿وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ سَمَاعًا، لَيْسُوا بِأَصْمِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ؛ وَلَكِنَّهُ سَمَاعٌ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، لَا يَسْمَعُونَ بِهَا سَمَاعًا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، يَفْقَهُونَ بِهِ الرَّشْدَ، يَقْتَرِبُونَ بِهِ مِنْ مَنْهَجِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾؛ فَبَيَّنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ الْأَنْعَامَ الَّتِي خَلَقَهَا سَائِمَةً فِي أَرْضِهِ، سَارِحَةً فِي كَوْنِهِ؛ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهَا مِنَ الْكَثْرَةِ وَمِنَ الْغَرِيزَةِ مَا تَسْعَى بِهِ لِنَفْعِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُوَدِّيَ الْوُظَيْفَةَ الَّتِي نَاطَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِتِلْكَ الْوُظَيْفَةِ أَعْنَاقَهَا، فَهِيَ مُؤَدِّيَةٌ لِلْوُظَيْفَةِ فِي الْحَيَاةِ عَلَى النَّحْوِ، وَآتِيَةٌ بِالْوُظَيْفَةِ عَلَى الْوَجْهِ.

وَأَمَّا هُوَ لَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ خَلَقَهُمْ لِرِزْقِهِمْ مُعِينًا؛ فَمَاذَا صَنَعُوا؟!

عَطَّلُوا وَسَائِلَ الْإِدْرَاكِ، وَنَفَّوْا وَسَائِلَ الْفَهْمِ وَأَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ جَانِبًا؛ فَصَارُوا أَحَطَّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَأَضَلَّ مِنْهَا، فَيَأْتِي الْبَيَانُ الدَّمَاعُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَوْلَيْتِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، يُضْرِبُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِ الْوَصْفِ بِالتَّشْبِيهِ بِالْأَنْعَامِ إِلَى مَا هُوَ أَحَطُّ مِنْ دَرَكَةِ الْأَنْعَامِ.

﴿أَوْلَيْتِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَيْتِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الَّذِينَ غَفَلُوا عَمَّا يُصْلِحُهُمْ، وَعَمَّا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَعَمَّا فِيهِ فَايِدَتُهُمْ، وَعَمَّا فِيهِ حَيَاتُهُمْ الْحَقِيقِيَّةُ، بِالْإِقْبَالِ عَلَى مَنْهَجِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، وَعَلَى مَنْهَجِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

إِذَنْ؛ صِحَّةُ الْفَهْمِ، وَسَلَامَةُ الْمُعْتَقِدِ.. صِحَّةُ الْفَهْمِ، وَسَلَامَةُ الْإِدْرَاكِ هُمَا الرِّكَيزَتَانِ اللَّتَانِ عَلَيْهِمَا يَقُومُ سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَإِذَا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِصِحَّةِ الْفَهْمِ عَلَى عَبْدِهِ؛ فَقَدْ اصْطَفَاهُ وَقَرَّبَهُ. (*).

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ هُوَ لَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْوِمَ حَسْرَتِهِمْ، وَيُعْلِنُونَ نَدَمَهُمْ؛ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١].

وَقَالُوا -يَعْنِي الَّذِينَ كَفَرُوا- مُعْتَرِفِينَ بِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِمْ لِلْهُدَى وَالرَّشَادِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ فَتَفَوُّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ طُرُقَ الْهُدَى، وَهِيَ السَّمْعُ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَجَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَالْعَقْلُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، وَيُوقِفُهُ

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «نِعْمَةُ الْفَهْمِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٦هـ | ٩-٩-٢٠٠٥م.

عَلَى حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، وَإِثَارِ الْخَيْرِ، وَالْإِنْزِجَارِ عَنْ كُلِّ مَا عَاقِبَتْهُ ذَمِيمَةٌ، فَلَا سَمْعَ لَهُمْ وَلَا عَقْلَ.

وَهَذَا بِخِلَافِ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالْعُرْفَانِ وَأَرْبَابِ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُمْ أَيْدُوا إِيمَانَهُمْ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، فَسَمِعُوا مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَعَمَلًا، وَالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَعْرِفَةَ لِلْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالْحَسَنِ مِنَ الْقَبِيحِ، وَالْخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ، وَهُمْ - فِي الْإِيمَانِ - بِحَسَبِ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْإِقْتِدَاءِ بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَخْتَصُّ بِفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْخَيْرِ.

قَالَ -تَعَالَى- عَنْ هَؤُلَاءِ الدَّاخِلِينَ لِلنَّارِ، الْمُعْتَرِفِينَ بِظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أَي: بُعْدًا لَهُمْ وَخَسَارَةً وَشَقَاءً، فَمَا أَشْقَاهُمْ وَأَرْدَاهُمْ، حَيْثُ فَاتَهُمْ ثَوَابُ اللَّهِ، وَكَانُوا مُلَازِمِينَ لِلسَّعِيرِ الَّتِي تَسْتَعْرِ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَتَطَّلُعُ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ!! (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَاقَّةِ) - الْخَمِيسُ ١٣ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ | ٢٨-١-٢٠١٠ م.

الْوَعْيُ بِأَخْطَرِ عَدُوِّ لِلْإِنْسَانِ

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- النَّاسَ أَمْرًا جَازِمًا أَنْ يَتَّخِذُوا الشَّيْطَانَ عَدُوًّا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥-٦].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣/ ١٤٢٨): «يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ .. بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

﴿حَقٌّ﴾؛ أَي: لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مَرِيَّةَ، وَلَا تَرَدُّدَ، قَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ، فَإِذَا كَانَ وَعْدُهُ حَقًّا، فَتَهَيَّئُوا لَهُ، وَبَادِرُوا أَوْقَاتِكُمْ الشَّرِيفَةَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَا يَقْطَعَنَّكُمْ عَنْ ذَلِكَ قَاطِعٌ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بِلَذَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا وَمَطَالِبِهَا النَّفْسِيَّةِ، فَتُلْهِكُمُ عَمَّا خُلِقْتُمْ لَهُ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الَّذِي هُوَ (الشَّيْطَانُ)، الَّذِي هُوَ عَدُوُّكُمْ فِي

الْحَقِيقَةِ.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أَي: لِتَكُنْ مِنْكُمْ عَدَاوَتُهُ عَلَى بَالٍ، وَلَا تَهْمِلُوا مُحَارَبَتَهُ كُلَّ وَقْتٍ، فَإِنَّهُ يَرَاكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُ، وَهُوَ دَائِمًا لَكُمْ بِالْمِرْصَادِ.

﴿لِنَمَّا يَدْعُوا حِزْبَهُ، لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ هَذَا غَايَتُهُ وَمَقْصُودُهُ مِمَّنْ تَبِعَهُ: أَنْ يُهَانَ غَايَةَ الْإِهَانَةِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ).

وَمَعَ أَنَّ أَمْرَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ وَاضِحٌ وَضُوحًا لَا لَبْسَ فِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْدُرُ أَنْ يَتَوَهَّجَ الْإِحْسَاسُ بِالْعَدَاوَةِ لِلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ!!
وَإِنَّهُ لَعَجِيبٌ أَنْ تَلْتَحِقَ الْأُمُورُ الْوَاضِحَةُ حَقًّا بِالْأُمُورِ الْغَامِضَةِ جِدًّا؛ حَتَّى يَعْسَرَ الْفُضْلُ، وَيَتَعَدَّرَ التَّحْدِيدُ، وَتَخْتَلِطَ الْمَعَالِمُ، وَتَشْتَبِهَ الدُّرُوبُ.

وَلَا أَعْجَبَ مِنْ الْإِخْتِلَاطِ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمُوَالَاةِ، ذَلِكَ الْإِخْتِلَاطُ الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَتَوَلَّى أَعْدَاءَهُ، وَيُحِبُّ مُبْغِضِيهِ، وَيَسْعَى فِي طَاعَةِ مَنْ يَسْعَى فِي إِهْلَاكِهِ وَتَدْمِيرِ جَسَدِهِ وَرُوحِهِ سِوَاهُ!!

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يُخْبِرُ -تَعَالَى- عَنْ عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَنَّ اللهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، إِكْرَامًا وَنِعْظِيمًا، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، فَامْتَثَلُوا ذَلِكَ؛ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ»، وَقَالَ: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

[الإسراء: ٦١]، وَقَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا عِدَاوَتُهُ لِلَّهِ وَلِأَيِّكُمْ وَلَكُمْ، فَكَيْفَ تَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ - أَي: الشَّيَاطِينِ - ﴿أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوًّا؟!!﴾

﴿يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا؟﴾؛ أَي: بِسَسَا مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ الَّذِي لَا يَأْمُرُهُمْ إِلَّا بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، عَنْ وِلَايَةِ الرَّحْمَنِ الَّذِي كُلُّ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ وَالسَّرُورِ فِي وِلَايَتِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ: الْحَثُّ عَلَى اتِّخَاذِ الشَّيْطَانِ عَدُوًّا، وَالْإِعْرَاءُ بِذَلِكَ، وَذِكْرُ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَعْظَمُ مِنْ ظُلْمِ مَنْ اتَّخَذَ عَدُوَّهُ الْحَقِيقِيَّ وِلِيًّا، وَتَرَكَ الْوَلِيَّ الْحَمِيدَ؟!

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠].
وَلَوْ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ عَدُوًّا تَقْلِيدِيًّا لِلإِنْسَانِ لَهَانَ الْأَمْرُ جِدًّا، وَلَكِنَّهُ عَدُوٌّ مُتَفَرِّدٌ فِي عِدَاوَتِهِ، وَمِنْ أَحْصَى مَا تَمَيَّزَ بِهِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ يَرَى الْإِنْسَانَ وَيَرْصُدُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يُبْصِرُ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْنِيكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبِيئِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/ ٥٣٩): «يَقُولُ -تَعَالَى- مُحَدَّرًا لِبَنِي آدَمَ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ كَمَا فَعَلَ بِأَبِيهِمْ: ﴿يَبْنِي آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ بِأَنْ يُزَيِّنَ لَكُمْ الْعِصْيَانَ، وَيَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ وَيُرْغِبُكُمْ فِيهِ فَتَنَقَادُوا لَهُ، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ وَأَنْزَلَهُمَا مِنَ الْمَحَلِّ الْعَالِيِّ إِلَى الْأَنْزَلِ مِنْهُ؛ فَانْتَمِ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ كَذَلِكَ، وَلَا يَأْلُو جَهْدَهُ عَنْكُمْ حَتَّى يَفْتِنَكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا الْحَدَرَ مِنْهُ فِي بَالِكُمْ، وَأَنْ تَلْبَسُوا لِأَمَّةِ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَالْأَلَّا تَغْفُلُوا عَنِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا إِلَيْكُمْ.

﴿إِنَّهُ﴾ يُرَاقِبُكُمْ عَلَى الدَّوَامِ، وَ﴿يُرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فَعَدَمُ الْإِيمَانِ هُوَ الْمَوْجِبُ لِعَقْدِ الْوَلَايَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

فَهَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- لِبَنِي آدَمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعِينَ، بَيْنَ فِيهِ -تَعَالَى- أَنَّ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ قَدِيمَةٌ، مُنْذُ كَادَ لِأَبِيهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَعَى فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ دَارِ النَّعِيمِ إِلَى دَارِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَالْبَلَاءِ، وَمُنْذُ تَسَبَّبَ فِي هَتْكَ عَوْرَتِهِ وَظُهُورِ سَوَاتِيهِ، وَكَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُ، وَمَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ.

وَلَا هُدْنَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ الْبَتَّةَ، وَلَا مُسَالَمَةَ بَيْنَهُمَا أَبَدًا، وَكَيْفَ وَعَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ لَمْ تَنْقَطِعْ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلٌ مِنْهَا!!

وَلِشِدَّةِ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ، وَعَظِيمِ مَكْرِهِ بِهِ، تَنَوَّعَتْ صُورُ تِلْكَ
الْعَدَاوَةِ، وَتَنَوَّعَتْ دَلَالَةُ عَلَيَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ دَائِمُ التَّرْبُّصِ بِالْإِنْسَانِ، دَائِبٌ فِي سَعْيِهِ
لِإِضْلَالِهِ وَغَوَايَتِهِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ:
وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ! لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ.
فَقَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَعْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي» (١). (*) .



(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٢٣٧)، وَالْحَاكِمُ (٤/ ٢٦١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»
(ص ١٣٣)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٠٤).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابٍ: «عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ» (ص: ٦-٧) لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ
بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

الْوَعْيُ بِتَحَدِّيَّاتِ الشَّيْطَانِ

إِذَا تَمَّ كَمَالَ نَظَرِ الْعَبْدِ فِي شَأْنِ الْعِدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْطَانِهِ، أَفَادَهُ النَّظَرُ كَمَالَ الْإِحْتِرَازِ وَالتَّحَفُّظِ، وَتَمَامَ الْيَقَظَةِ وَالْإِنْتِبَاهِ لِمَا يُرِيدُ مِنْهُ عَدُوُّهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ عَدُوَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي عَقَبَةٍ مِنْ سَبْعِ عَقَبَاتٍ، بَعْضُهَا أَصْعَبُ مِنْ بَعْضٍ، لَا يَنْزِلُ مِنَ الْعَقَبَةِ الشَّاقَّةِ إِلَّا إِلَى مَا دُونَهَا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ الظَّفْرِ بِهِ فِيهَا.

* الْعَقَبَةُ الْأُولَى:

عَقَبَةُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَدِينِهِ، وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعَقَبَةِ بَرَدَتْ نَارُ عِدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاحَ، فَإِنْ اقْتَحَمَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْعَقَبَةَ وَنَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهَدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ؛ طَلَبَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى:

* الْعَقَبَةُ الثَّانِيَّةُ:

وَهِيَ عَقَبَةُ الْبِدْعَةِ؛ إِذَا بَاعَتْ قَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِذَا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ: مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحَدَّثَةِ فِي

الدِّينِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا، وَالْبِدْعَتَانِ فِي الْعَالِبِ مُتَلَاذِمَتَانِ، قَلَّ أَنْ تَنْفَكَ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى.

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ، وَخَلَصَ مِنْهَا بِنُورِ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ طَلَبَهُ عَلِيٌّ:

* الْعَقَبَةُ الثَّلَاثَةُ:

وَهِيَ عَقَبَةُ الْكِبَائِرِ، فَإِنْ ظَفَرَ بِهِ فِيهَا زَيْنَهَا لَهُ، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوَّفَ بِهِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الْإِرْجَاءِ، وَقَالَ لَهُ: الْإِيمَانُ هُوَ نَفْسُ التَّصَدِيقِ، فَلَا تَقْدَحُ فِيهِ أَعْمَالُ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لَهُ عِنْدَ فَتْحِ بَابِ الْإِرْجَاءِ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ نَفْسُ التَّصَدِيقِ، فَلَا تَقْدَحُ فِيهِ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ وَالْمَعَاصِي.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِرْجَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ شَرِّ الْبِدَعِ الَّتِي أَفْسَدَتِ الدِّينَ، وَرُبَّمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ وَأَذِنَهُ كَلِمَةً طَالَ مَا أَهْلَكَ بِهَا الْخَلْقَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «لَا يُضْرُّ مَعَ التَّوْحِيدِ ذَنْبٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشُّرْكِ حَسَنَةٌ».

وَظَفَرَ الشَّيْطَانُ بِالْإِنْسَانِ فِي عَقَبَةِ الْبِدْعَةِ أَحَبُّ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْعَقَبَةَ بِعِصْمَةِ اللَّهِ، أَوْ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُنَجِّيه مِنْهَا؛ طَلَبَهُ عَلِيٌّ:

* الْعَقَبَةُ الرَّابِعَةُ:

وَهِيَ عَقَبَةُ الصَّغَائِرِ؛ فَيَقُولُ لَهُ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ مِنَ اللَّمَمِ، أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهَا تُكْفِّرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يَهْوَنُ عَلَيْهِ

أَمْرَهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفِ الْوَجِلِ النَّادِمِ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ؛ فَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ.

فَإِنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعَقَبَةِ بِالتَّحَرُّزِ وَالتَّحَفُّظِ وَدَوَامِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَاتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ؛ طَلَبَهُ عَلَى:

* الْعَقَبَةُ الْخَامِسَةُ:

وَهِيَ عَقَبَةُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهَا؛ فَشَغَلَهُ بِهَا عَنْ الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الْاجْتِهَادِ فِي التَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمِعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ السُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقْلَى مَا يَنَالُ مِنْهُ تَفْوَيْتُهُ الْأَرْبَاحَ وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ.

فَإِنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعَقَبَةِ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ، وَنُورٍ هَادٍ، طَلَبَهُ الْعَدُوُّ عَلَى:

* الْعَقَبَةُ السَّادِسَةُ:

وَهِيَ عَقَبَةُ الْأَعْمَالِ الْمَرْجُوحَةِ الْمَفْضُولَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فَأَمَرَهُ بِهَا، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَزَيَّنَهَا لَهُ، لِيَشْغَلَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَأَعْظَمُ كَسْبًا وَرِبْحًا.

وَلَكِنْ.. أَيْنَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعَقَبَةِ؟! فَهُمُ الْأَفْرَادُ فِي الْعَالَمِ، وَالْأَكْثَرُونَ قَدْ ظَفِرَ بِهِمْ فِي الْعَقَبَاتِ الْأُولَى.

فَإِنْ نَجَا مِنْهَا بِفِقْهِ فِي الْأَعْمَالِ وَمَرَاتِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ؛ طَلَبَهُ عَلَى:

* الْعَقَبَةُ السَّابِعَةُ:

فَإِنَّهُ مَتَى أَعْجَزَهُ الْعَبْدُ فِي الْعَقَبَاتِ السَّتِّ السَّابِقَةِ، سَلَّطَ عَلَيْهِ حِزْبَهُ مِنَ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَالتَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَقَصَدَ إِخْمَالَهُ
وَإِطْفَاءَ نُورِهِ، لِيُشَوِّشَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَيَشْغَلَ بِحَرْبِهِ فِكْرَهُ، وَلِيَمْنَعَ النَّاسَ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ
بِهِ؛ فَيَبْقَى سَعْيُهُ فِي تَسْلِيطِ الْمُبْطِلِينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَيْهِ»^(١). (*)



(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١/٢٢٢-٢٢٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابٍ: «عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ» (ص: ٤٦-٥٠) لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسُلَانَ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.



الْوَعْيُ بِمَا يُرَدُّ بِهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ وَيُدْفَعُ بِهِ شَرُّهُ

لَمْ يَدْعِ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرًا إِلَّا وَدَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا تَرَكَ شَرًّا إِلَّا وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ مِنْهُ، وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الشَّيْطَانِ مِنْ أخطرِ الْأُمُورِ الَّتِي تَلْقَى الْعَبْدَ فِي سَعْيِهِ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَعْتَصِمُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْهُ بَيَانًا شَافِيًّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ؛ مِنْ ذَلِكَ:

أَوَّلًا: الإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا، قَدْ أَحْمَرَ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

اسْتَبَّ رَجُلَانِ: تَشَاتَمَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٤٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٦١٠).

ثَانِيًا: قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ.

وَهُمَا أَفْضَلُ مَا تَعَوَّذَ بِهِمَا الْمُتَعَوِّذُونَ؛ لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» (١).

ثَالِثًا: قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ عِنْدَمَا وَكَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.

فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ قَالَ لَهُ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟!».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢).

رَابِعًا: قِرَاءَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٣٤٢/١٧) بِرَقْمِ (٩٤٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٥٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا، كِتَابُ الْوَكَاالَةِ، بَابُ: إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا. وَانظُرْ: رَقْمَ (٣٢٧٥، ٥٠١٠).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

خَامِسًا: خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وآله وسلم، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْأَيْتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

سَادِسًا: الْحِرْزُ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ جَلِيلُ النَّفْعِ، الَّذِي بَيْنَهُ النَّبِيُّ صلی الله علیه وآله وسلم فِيمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣).

سَابِعًا: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلی الله علیه وآله وسلم أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّ اللَّهَ عز وجل: «أَمَرَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٤٠، ٥٠٥١)، وَمُسْلِمٌ (٨٠٧، ٨٠٨).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩١).

حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(١).

ثَامِنًا: إِمْسَاكَ فُضُولِ النَّظَرِ، وَالْكَلامِ، وَالطَّعَامِ، وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ.
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ وَيَنَالُ مِنْهُ غَرَضَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ
الْأَرْبَعَةِ.

وَهَذِهِ الْأَحْرَازُ ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ بِسَطِّ غَيْرِ هَذَا الْإِيْجَازِ.
إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَدْ نَبَّهَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مَرَّاتٍ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوٌّ مُبِينٌ ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ غَيْرُ خَافِيهَا، وَأَمَرَ -تَعَالَى- أَنْ يَتَّخِذَهُ الْإِنْسَانُ عَدُوًّا.
فَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ يَتَوَلَّى الْإِنْسَانُ عَدُوَّهُ الَّذِي يَجِدُّ فِي إِهْلَاكِهِ، وَيَسْعَى فِي
إِيرَادِهِ النَّارَ، وَيَسَّسُ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ.

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يُتَلَى بِعَدُوِّ ظَاهِرٍ يَأْخُذُ حِذْرَهُ، وَيُعِدُّ عِدَّتَهُ، وَيَجْهَدُ
نَفْسَهُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ خَفِيًّا لَا يَرَاهُ، وَهُوَ يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الدَّمِّ؟!!!
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْتِبَاهُ كَامِلًا، وَالْيَقِظَةُ تَامَةً، وَإِلَّا تَحِينَنَّ الْعَدُوُّ الْفُرْصَ، وَنَالَ
مِنَ الْإِنْسَانِ مَا يَهْوَى، وَأَصَابَ مِنْهُ مَا يُرِيدُ. (*)



(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٦٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٧٢٤).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ» (ص: ٥١-٥٥) لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَّالَانَ -حَفِظَهُ اللَّهُ-.

الْوَعْيُ بِتَحَدِّيَّاتِ تَهْدُدُ أَمْنَ الْوَطَنِ

إِنَّ مِنْ أخطرِ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي تُوَاجِهِنَا تِلْكَ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي تَهْدُدُ أَمْنَنَا وَاسْتِقْرَارَنَا فِي أوطَانِنَا؛ فالأمنُ في الأوطانِ مِنْ أعظمِ مَنَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْإِنْسَانِ. (*)

لَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهَ عَلَى أَهْلِ حَرَمِهِ الْأَمِينِ بِالْأَمْنِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]؛ أَي: أَجْهَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قِيَمَةَ النِّعْمَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا، وَلَمْ يُدْرِكُوا وَيُشَاهِدُوا أَنَّا جَعَلْنَا بِلَدِّهِمْ مَكَّةَ حَرَمًا ءَامِنًا، يَأْمِنُونَ فِيهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَعَلَى أَعْرَاضِهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ يَتَّقِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ!؟

وَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ حَوْلَ مَكَّةَ يَغْزُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَغَاوَرُونَ وَيَتَنَاهَبُونَ، يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَنْهَبُ بَعْضُهُمْ مَالَ غَيْرِهِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ مُسْتَقِرُّونَ فِيهَا آمِنُونَ، لَا يُعْتَدِي عَلَيْهِمْ مَعَ قَلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ غَيْرِهِمْ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ.. بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرُ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ» - خُطْبَةٌ

وَالِاسْتِنْفَهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفِيَابَلْبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾
 لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَلِلتَّوْبِيخِ لَهُمْ عَلَى هَذَا الْجُحُودِ وَالْكَفْرِ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى.
 أَفْبَعْدَ هَذِهِ النُّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْنَامِ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تَسْتَدْعِي
 اسْتِجَابَتَهُمْ لِلْحَقِّ يَكْفُرُونَ؟! (١).

وَكَانَ أَمْنُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ مَدَحَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- مَدْحًا عَظِيمًا؛
 فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا
 الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَرْجِعًا لِّلنَّاسِ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَمَلَاذًا وَحِصْنًا لَهُمْ
 مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، فَهُوَ مَوْضِعُ أَمْنِهِمْ وَاطْمِئْنَانِهِمْ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ
 وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش: ٣-٤].

وَذَكَرَ -تَعَالَى- مِتَّةً عَلَى سَبَأٍ؛ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا
 فِيهَا قُرَى ظَلْهَرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
 رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
 كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

(١) «التفسير الوسيط» (١١/٥٧-٥٨).

(٢) «تفسير البغوي» (١/١٤٦)، و«التفسير الوسيط» (١/٢٦٨).

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا» (١). (*)

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِي يَقِظَةٍ وَوَعْيٍ وَحَيْطَةٍ وَحَذَرٍ، وَفِي التَّارِيخِ عِبْرَةٌ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ.

هَذَا إِذَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّاسِ بَقِيَّةً مِنْ عَقْلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْصِمُهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَشْمَلُهُمْ، وَإِلَّا عِنَايَتُهُ تَعْمَهُمْ، يَهْدِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ. (*) (٢).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم ٢٣٤٦)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٤١٤١)، من حديث: عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وفي رواية لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ رقم ٢١٢٦) زاد: «... فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا».

والحديث حسنه لغيره الألباني في «الصحيحة» (٥/ رقم ٢٣١٨)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ رقم ٨٣٣)، وله شواهد من رواية أبي الدرداء وابن عمر رضي الله عنهما. (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ | ١٨-١٢-٢٠١٥م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِسْلَامُ وَالتَّعَدُّدِيَّةُ الْحِزْبِيَّةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣٢هـ | ١-٤-٢٠١١م.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَدْعُنَا لِلْحَقِّ، وَاسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ خُذُوا أَهْبَتَكُمْ،
وَاحْتَرِزُوا مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَتَيَقَّظُوا لَهُ، وَلَا تُمْكِّنُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ. (*)

إِنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ: أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَمْنِهَا
وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابُ الْمُنْفِصِيَّةُ إِلَى الْفَوْضَى وَالِاضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛
فَالْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْإِنْسَانِ.

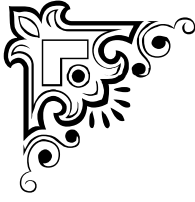
فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ بَلَدِهِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي
تَحْصِيلِ اسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ، وَيُبْعِدَهُ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْفَوْضَى، وَعَنْ الْاضْطِرَابِ، وَعَنْ
وُقُوعِ الْمُشَاغَبَاتِ.

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ بَلَدَهُ الْإِسْلَامِيَّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَمُوتَ دُونَهُ؛
فَإِنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْأَرْضُ مَالٌ، فَمَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.
وَمِصْرُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ أَبْنَاؤُهَا قِيَمَتَهَا.. يَنْبَغِي أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُحَافِظَ
عَلَى وَحْدَتِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْفَوْضَى وَالِاضْطِرَابِ، وَأَنْ تُنْعَمَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ
وَالِاسْتِقْرَارِ. (*) (٢).

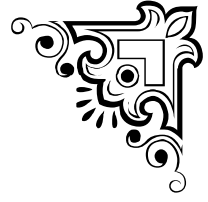


(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٧١].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرٌ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ» - خُطْبَةٌ



الْوَعْيُ بِالتَّحَدِّيَّاتِ الإِقْتِصَادِيَّةِ وَسُبُلِ مُوَاجَهَتِهَا



إِنَّ مِنْ أَهَمِّ التَّحَدِّيَّاتِ الَّتِي نُوَاجِهُهَا: التَّحَدِّيَّاتِ الإِقْتِصَادِيَّةِ؛ فَيَجِبُ التَّعَاوُنُ
لِمُوَاجَهَةِ هَذِهِ التَّحَدِّيَّاتِ بِالْعَمَلِ وَالتَّخْطِيطِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ حَثَّ عَلَى الْعَمَلِ وَإِعْمَارِ
الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ لِحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «إِنْ قَامَتِ
السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فِسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقَوْمَ حَتَّى يَغْرِسَهَا
فَلْيَغْرِسَهَا»^(١). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَ«فِسِيلَةٌ»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَى هَذِهِ
الدَّارُ عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمْدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَايِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٦)،

وَالْبَزَّازُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَى التَّجَارَةِ» (٧٤)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَابْنُ عَدِيِّ فِي «الْكَامِلِ» (٧٥/٦) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ

بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

غَيْرِكَ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَأَغْرَسَ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بِعَدِكَ لِيَنْتَفِعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى الْحِصِّ عَلَى الْإِسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَى اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَغْرَسْهَا»، وَهَذَا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَى نَتِيجَتِهِ وَعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوهَا حَتَّى إِثْمَارِهَا سَنَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَغْرَسْهَا».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُ ﷺ يَحْتُ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جَدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرغِيبُ الْعَظِيمُ عَلَى اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ (*).

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيثٌ ٤٧٩ ص ٢١٢٥ - ٢١٢٨).

وَمُوَاجَهَةُ التَّحَدِّيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ - أَيْضًا - يَكُونُ بِالتَّخْطِيطِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالزَّرَاعِيِّ
وَالتَّمْوِينِيِّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ
لِلرُّءْيَا يَا تَعَبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي
نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ نَزِعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي
سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿٤٩﴾] يوسف: ٤٣-٤٩ .

وَقَالَ مَلِكٌ مِصْرَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ فِي
غَايَةِ الْهَزَالِ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السَّمَانَ، وَدَخَلْنَ فِي بُطُونِهِنَّ، وَلَمْ يَرِ مِنْهُنَّ شَيْءٌ،
وَلَمْ يَتَبَيَّنْ عَلَى الْهَزِيلَاتِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ قَدْ انْعَقَدَ حَبُّهَا،
وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ أُخَرَ يَابِسَاتٍ قَدْ اسْتَحْصَدَتْ، فَالْتَوَتِ الْيَابِسَاتُ عَلَى الْخُضْرِ
حَتَّى عَلَوْنَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قُدْرَتِهَا شَيْءٌ.

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ وَالْكِبْرَاءُ! يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ! أَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الْخَطِيرَةَ
وَعَبَّرْوَهَا لِي، وَادْكُرُوا بَعْدَهَا الْوَاقِعِي فِي هَذَا الْكُونِ، إِنْ كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ عِلْمَ
الْعِبَارَةِ وَتَفْسِيرَ رُمُوزِ الْأَحْلَامِ.

قَالَ الْمَلَأُ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْمُعَبِّرِينَ مُجِيبِينَ الْمَلِكَ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ
أَخْلَاطٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَمَنَامَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ بِعَالِمِينَ.

وَقَالَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ الْخَبَّازِ، وَتَذَكَّرَ قَوْلَ
يُوسُفَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]،
قَالَ: أَنَا أَخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا، إِذْ أَسْتَفْتِي فِيهَا السَّجِينِ الْعِبْرَانِيَّ الَّذِي
كُنْتُ مُصَاحِبًا لَهُ فِي سِجْنِ رَئِيسِ الشَّرْطَةِ، فَأَرْسَلَنِي إِلَيْهَا الْمَلِكُ إِلَى السَّجْنِ،
فَفِيهِ رَجُلٌ عَالِمٌ يَعْبُرُ الرُّؤْيَا، فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَى السَّجْنَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا
يُوسُفُ، أَيُّهَا الْعَظِيمُ الصِّدْقِ فِي كَلَامِكَ وَتَأْوِيلِكَ وَسُلُوكِكَ وَتَصَرُّفَاتِكَ
وَصُحْبَتِكَ، فَسَّرْ لَنَا رُؤْيَا مَا رَأَى، سَبْعُ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ
هَزِيلَاتٍ، وَرَأَى سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ، فَإِنَّ الْمَلِكَ رَأَى هَذِهِ
الرُّؤْيَا، لَعَلِّي أَرْجِعُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَى الْمَلِكِ وَجَمَاعَتِهِ لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا
سَأَلْتِكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَاتِكَ وَفَضْلَكَ.

لَمْ يَشْتَرِطْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَضَى فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَوْ كَانَ سِوَاهُ
لَقَالَ: لَا أَعْبُرُ لَكُمْ الرُّؤْيَا حَتَّى أَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْحَبْسِ، أَوْ حَتَّى يَرُدَّ إِلَيَّ حَقِّي..
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَفَادَهُمْ وَأَرَادَ نَفْعَهُمْ.

قَالَ يُوسُفُ مُعْبِرًا لِتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْوَضْعِ الزَّرَاعِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ
وَالْمَالِيِّ خِلَالَ الْخَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً الْقَادِمَةَ، بِمَا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ، ثُمَّ قَحْطٍ، ثُمَّ
غَوْثٍ: ازْرَعُوا سَبْعَ سِنِينَ بَجْدٍ وَاجْتِهَادٍ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ عَلَى عَادَتِكُمُ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي
الزَّرَاعَةِ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ فَاتْرُكُوهُ فِي سُنْبُلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْسُدَ وَيَقَعَ فِيهِ
السُّوسُ، وَاحْفَظُوا أَكْثَرَهُ لَوَقْتِ الْحَاجَةِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الدَّابِّ فِي الزَّرَاعَةِ -زِرَاعَةِ الْأَقْوَاتِ وَادِّخَارِهَا- طَوَالَ السِّنِينَ السَّبْعِ الْمُخَصَّبَةِ، يَأْتِي سَبْعَ سِنِينَ مُجَدَّبَةٍ، تَكُونُ مُمَحَلَّةً شَدِيدَةً عَلَى النَّاسِ، يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ مَوَاشِيهِمْ فِيهَا مَا زَرَعْتُمْ وَادِّخَرْتُمْ لَهِنَّ مِنَ الطَّعَامِ فِي سَنَاتِ الْخِصْبِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ وَتَدَّخِرُونَهُ؛ اِحْتِيَاظًا لِلطَّوَارِيءِ الْمُلْجِئَةِ الَّتِي قَدْ يُسْمَحُ فِيهَا بِالْأَخْذِ مِنَ الْإِحْتِيَاظِيِّ بِمَقَادِيرِ الضَّرُورَةِ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾، لَيْسَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا الْمَلِكُ أَذْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْتِ هَذَا، فَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فِيهَا سَبْعُ مِنَ السَّنَوَاتِ -كَمَا أَوَّلَ- يَكُونُ فِيهَا الْخِصْبُ، ثُمَّ سَبْعُ مِنَ السَّنَوَاتِ يَكُونُ فِيهَا الْجَدْبُ، وَلَيْسَ فِي الرُّؤْيَا أَذْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْتِ هَذَا.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ السِّنِينَ الْمُجَدَّبَةِ عَامٌ تَرْجِعُ فِيهِ تَصَاريفُ الْكُونَ إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَفِيهِ تَنْزِلُ الْأَمْطَارُ النَّافِعَةُ الَّتِي يُنْبِتُ اللَّهُ بِهَا الزُّرُوعَ، وَفِيهَا يَعْرِضُونَ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ مِنْ نَحْوِ الْعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالْقَصَبِ، وَتَكْثُرُ النِّعَمُ عَلَى النَّاسِ.

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عليه السلام بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَلْ بَادَرَ فَوَضَعَ لَهُمْ خُطَّةً عَمَلٍ لِمُوَاجَهَةِ سَنَوَاتِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ، وَهِيَ خُطَّةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الزَّرَاعِيَّةَ وَالتَّمْوِينِيَّةَ لِلأُمَّةِ خِلَالَ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ تَأْتِي عَلَى اسْتِقْلَالِ (*).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [يوسف: ٤٣ -

وَمِنْ سُبُلِ مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَقْبَةِ: سَعْيُ رِجَالِ الْأَعْمَالِ الْمُخْلِصِينَ الْوَطَنِيِّينَ لِاسْتِثْمَارِ أَمْوَالِهِمْ فِي بِلَدِهِمْ، وَتَوْفِيرِ فُرْصِ الْعَمَلِ لِأَبْنَاءِ هَذَا الْوَطَنِ الْجَمِيلِ. (*)

أَيُّهَا الْمُضْرِبُونَ! اْعْمَلُوا، وَاجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا خُرُوجَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ أَزْمَةٍ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ.. أَنْ يَعْمَلَ كُلُّ مَنْ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، لَا عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ حَتَّى هَذِهِ لَا يَعْمَلُونَهَا؛ يَعْنِي هُمْ لَا يَعْمَلُونَ أَصْلًا، لَا عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ وَلَا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، هُمْ تَعَوَّدُوا عَلَى الْأَخْذِ مِنْ غَيْرِ عَطَاءٍ، وَهَذَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ﷻ، وَلَا يَرْضَاهُ هَذَا الدِّينُ الْحَنِيفُ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «خِدْمَةُ الْمُجْتَمَعِ بَيْنَ الْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ وَالْوَاجِبِ الْكِفَائِيِّ وَالْعَيْنِيِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٤٠هـ | ٤-١-٢٠١٩م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «دَاعِشُ وَالْإِخْوَانُ» - الْأَحَدُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٥هـ |

بِنَاءُ الْوَعْيِ لِمُوَاجَهَةِ الْإِسَاعَاتِ

عِبَادَ اللَّهِ! مَنْ نَظَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ خَاصَّةً، وَفِي التَّارِيخِ عَامَّةً؛ يَعْلَمُ يَقِينًا مَا لِلشَّائِعَاتِ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَأَثَرٍ بَلِيغٍ، فَالشَّائِعَاتُ تُعْتَبَرُ مِنْ أخطرِ الأَسْلِحَةِ الْفَتَّاكَةِ وَالْمُدْمِرَةِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَشْخَاصِ.

وَكَمْ أَقْلَقَتِ الْإِسَاعَةُ مِنْ أَبْرِيَاءَ، وَحَطَمَتِ عُظَمَاءَ، وَهَزَمَتْ مِنْ جُيُوشٍ، وَهَدَمَتْ مِنْ وَشَائِحَ، وَتَسَبَّبَتْ فِي جَرَائِمٍ، وَفَكَكَّتْ مِنْ عِلَاقَاتٍ وَصَدَاقَاتٍ، وَأَخَّرَتْ مِنْ سَيْرِ أَقْوَامٍ!!

لِخَطَرِهَا وَجَدْنَا الدُّوَل تَهْتَمُّ بِهَا، وَالْحُكَّامَ يَرْقُبُونَهَا، مُعْتَبِرِينَ إِيَّاهَا مِقْيَاسَ مَشَاعِرِ الشَّعْبِ نَحْوَ الْإِدَارَةِ صُعودًا وَهَبُوطًا، وَبَانِينَ عَلَيْهَا تَوْقَعَاتِهِمْ لِأَحْدَاثِ مَا، سِوَاءِ عَلَيِّ الْمُسْتَوَى الْمَحَلِّيِّ أَوْ الْمُسْتَوَى الْخَارِجِيِّ.

وَبَتَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «مُقَدِّمَةِ الصَّحِيحِ»^(١).

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (رقم ٥)، وأخرجه -أيضًا- أبو داود في «السنن» (رقم ٤٩٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥/ رقم ٢٠٢٥).

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).
 وَأَثَرُ الشَّائِعَاتِ سَيِّئٌ جِدَّ سَيِّئٍ، وَيَنْتُجُ عَنْهَا غَالِبًا آثَارٌ أُخْرَى أَسْوَأُ مِنْهَا. (*)
 إِنَّ الشَّائِعَاتِ تُخِلُّ بِالْأَمْنِ، وَتَجْلِبُ الْوَهْنَ، وَتُحَقِّقُ مُرَادَ الْأَعْدَاءِ فِي
 تَرْكِيْعِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِضْعَافِهِمْ، وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ وَتَيْيْسِهِمْ، وَقَتْلِ رُوحِ
 الْمُقَاوَمَةِ فِي نَفْسِهِمْ. (* / ٢).

وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ عِنْدَ سَمَاعِهِ الْإِشَاعَاتِ:

* أَنْ يُقَدِّمَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ طَلَبُ الدَّلِيلِ الْبَاطِنِيِّ
 الْوَجْدَانِيِّ، وَأَنْ يُنْزَلَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَنْزِلَتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ وَحْدَةُ الصِّفِّ الدَّاخِلِيِّ:
 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

والحديث روي -أيضاً- بمثله عن أبي أمامة رضي الله عنه، وزاد: «...، وكفى بالمرء من الشح
 أن يقول: أخذ حقي لا أترك منه شيئاً»، وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما.
 (١) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٦٦)، وأخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١ / ١١)، باب (٣)،
 ومحمد بن مخلد العطار في «ما رواه الأكابر عن مالك» (رقم ٥٠)، بإسناد صحيح، عن
 ابن وهب، قال: قال لي مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا
 يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع».
 وأخرجه -أيضاً- البيهقي في «مناقب الشافعي» (١ / ٥١٨)، بإسناد صحيح، عن
 الشافعي، عن مالك، قال: ... فذكره بمثله.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٧ هـ | ٢٩-٤-٢٠١٦ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبِ
 ١٤٣٧ هـ | ٦-٥-٢٠١٦ م.

* وَأَنْ يَطْلُبَ الدَّلِيلَ الْخَارِجِيَّ الْبُرْهَانِيَّ: ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾

[النور: ١٣].

* وَأَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا سَمِعَهُ وَلَا يَنْشُرُهُ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ لَمَاتَتْ فِي مَهْدِهَا، وَلَمْ تَجِدْ مَنْ يُحْيِيهَا إِلَّا مِنَ الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٦].

* وَأَنْ يُرَدَّ الْأَمْرُ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ، وَلَا يُشِيعُ النَّاسُ بَيْنَ النَّاسِ الشَّائِعَاتِ، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي كُلِّ الْأَخْبَارِ الْمُهِمَّةِ، وَالَّتِي لَهَا أَثَرُهَا الْوَاقِعِيُّ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. (*)

وَقَدْ تَعَامَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَعَ الْإِشَاعَةِ بِبَثِّ الثِّقَةِ وَالْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ بِنَصْرِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَسْدِيدِهِ مَهْمَا كَانَتْ الْأَحْوَالُ، كَمَا فَعَلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَدًّا عَلَى الشَّائِعَاتِ الْمُرْجِفَةِ الَّتِي كَانَ يُطْلِقُهَا الْمُنَافِقُونَ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

فَقَدْ كَانَ رَدُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُرْجِفِينَ بِمُخَاطَبَةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «أَبْشِرُوا بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٧ هـ | ٢٩-٤-٢٠١٦ م.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠/٢٢٣)، وَابِيهَيْتِي فِي «الدَّلَائِلِ» (٣/٤١٨)، وَالْوَاَحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» (رَقْمٌ ١٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرُ بْنُ عَوْفٍ الْمَزْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وَتُعَامَلُ الشَّائِعَاتُ بِالصَّمْتِ، وَعَدَمِ الْخَوْضِ فِيهَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١).

فَالْإِنْسَانُ لَا يَخْسِرُ بِالسُّكُوتِ شَيْئًا، كَمَا يَخْسِرُ حِينَ يَخْوُضُ فِيمَا لَا يُحْسِنُهُ أَوْ يَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ. (*).

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّبَعَ مِنَ الْأَخْبَارِ الشَّائِعَةِ، وَأَلَّا يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَأَنْ يَرُدَّهَا إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ. (* / ٢).

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ مِصْرَ، وَأَنْ يَحْفَظَ أَهْلَهَا، وَأَنْ يُدِيمَ عَلَيْهَا أَمْنَهَا وَأَمَانَهَا، وَسَلَامَتَهَا وَإِسْلَامَتَهَا، وَأَنْ يَكْتِبَ أَعْدَاءَهَا، وَأَنْ يُسَلِّمَهَا وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (* / ٣).

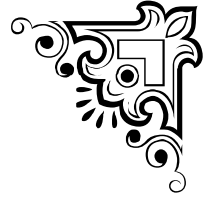
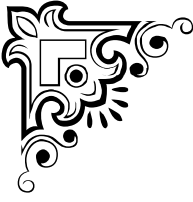


(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٠١٨) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٤٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث في «الصحيحين» -أيضاً- من رواية: أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ | ٦-٥-٢٠١٦م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ | ٢٩-٤-٢٠١٦م.

(* / ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةٍ: «الْمَخَاطِرُ الرَّاهِنَةُ وَالْحُلُولُ الْمُمْكِنَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٩هـ الْمُوَافِقُ ٩-٣-٢٠١٨م.



الفهرس

٣ مُقَدِّمَةٌ
٤ أَهْمِيَّةُ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.
١٤ عَاقِبَةُ إِهْمَالِ أَدْوَاتِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ
٢٠ الْوَعْيُ بِأَخْطَرِ عَدُوِّ لِلْإِنْسَانِ
٢٥ الْوَعْيُ بِتَحَدِّيَّاتِ الشَّيْطَانِ
٢٩ الْوَعْيُ بِمَا يَرُدُّ بِهِ كَيْدُ الشَّيْطَانِ وَيُدْفَعُ بِهِ شَرُّهُ
٣٣ الْوَعْيُ بِتَحَدِّيَّاتِ تَهْدُدُ أَمْنَ الْوَطَنِ
٣٧ الْوَعْيُ بِالتَّحَدِّيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَسُبُلِ مُوَاجَهَتِهَا
٤٣ بِنَاءُ الْوَعْيِ لِمُوَاجَهَةِ الْاِشَاعَاتِ

